فى بهو فندق

خيانة اللغة العربية والآباء والأجداد والدهر والتاريخ

للأستاذ محمد بدر الدين الخطيب

أنا (ولا أمانية) والسائح العراقى الأستاذ يونس البحرى الساعة فى «صالون» فندق من أكبر فنادق بيروت، نقلب الطرف والسمع فى الزمر التى تحتشد حولنا، ونتداول شتى الحديث ونعود إلى «الرسالة» وافتتاحيتها الشرقة بما فى نفس كاتبها الأستاذ الزيات وبما فى نفوسنا نحن إخوانه من شعور صحيح يتصل بتيار الحياة ولا يتقطع ملحقا بسلك مذبذب ضعيف يتفرع إلينا من الغرب.

نحن فى حماس واشراق، والزمر التى رأيت تلفظ حولنا بالفرنسية، وبالفرنسية فقط، لفظاً ضعيفاً أشبه بالنور الضئيل فى المصباح الكهربائى الذى يستمد تياره من الفرع الضعيف الذى رأيت أيضاً

هذه فتاة ريانة يهفهف العطر والجمال والدلال فى خطوها، تتحدث إلى أخرى بالفرنسية، وازاءها أمها تتطلع إليها تطلع المأخوذ الذى لا يعى ما يقال.

ها هى ذى أمها تسائلها (بالعربية)

التفتت الفتاة فى نزق وقد انتهب وجهها بالحمق ولسانها بالنزق وصاحت بأمها:

أى! أى! هس! هس!

وعادت إلى الكلام بالفرنسية وفى نفسها أن أمها قد مسخت المدنية أو مسخت موقفها من المدنية والفرنسية فى حديثها إليها بالعربية.

لم أكتم نفسى وتركت الغضب يمد عليها ويجعلنى ألتفت إلى صاحبى (يونس) وأحدثه بما يشبه الصيحة عما أرى وأسمع.

وكان صاحبى مثلى فى وجوم وألم مما يرى فلم يكتم نفسه وانبعث يصيح ويعلن أسفه (بالثلث)

وكان بجوارنا زمرة من الشباب وقع عليها ما نقول وقع العجب فى غير رجب، فالتفتت بجملتها وتوجه أحدها إلينا يقول:

(الناس أحرار يتكلمو ما شاءوا أفرنسية ولا عربية ولا ألمانية حتى شوهاد يا إخوان).

قلت له شوهاد؟ أى كلمة كبرت، وأى حمية صغرت، وأى...

ليتك تذهب إلى تركيا وتتكلم بغير التركية ويحسبك الأتراك تركيا مارقا فترى وتسمع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من التأنيب والتعذير!

لا دواء لك ولا لأمثالك إلا أن تذهب إلى تركيا فى شكل تركى، ولا أحسب المنطق يفيدك أو يفيد هذا الجمهور الغريب من أشباه الشباب وأشباه الرجال، هذا الجمهور الخارج من حظيرة فنية استعمارية.. نعم...

وصاح صاحبى السائح العراقى يقول: لقد طفت أكثر بلاد العالم فلم أجد أمة تحتقر نفسها وتلوى ألسنتها وتتحمس لهذا العبث إلا فى بلادنا العربية

ما شأن اللغة العربية حتى تتجاوز عنها وترطن بالفرنسية؟ أليست لغة المجد والعلم، ولغة دمك وبلادك؟

بهتت الزمرة، وساد وجوم، وتلجلج الجو، لا يحير، وماذا يحير، وعناصره عربية، وإن لم تكن عربية فطبيعية، تشهد للأمر الواقع، وتخشع احتراماً له وإجلالاً؟

ساد صمت وعدنا إلى حديثنا، ثم انفضت من حولنا الزمرة! وذهب أفرادها وفى نفوسهم ما لا يعلم إلا الله

وعدنا نقرأ مقال الأستاذ الزيات نفرج به ما اشتبك واحتبك من الشجون، ونثنى على كاتبه ثناء خالصاً مشرقاً وثناء صحيحاً يجدر بالشعور الصحيح والرأى الصحيح

وتأملنا ولا زلنا نتأمل فى هذه الظاهرة السوء والعلة الغريبة التى نجد فى كثير من الذين داخلتهم حمية وحماسة ورعونة ولؤماً للدفاع عنها والسفاهة فى سبيلها

تأملنا ولا زلنا نتأمل، وفى نفوسنا وأمانينا أن يبادر من يشعر بالخطر وبما وراء هذا الانحلال من نذر من الكتاب إلى معالجته بقوة وبصراحة

محمد بدر الدين الخطيب